الأهرام

المصدر :

التاريخ :

مرحلة جديدة في الكفاح الفلسطيني

بيتر مانسفيلد

الآن وقد أعلنت منظمة التحرير الفلسطينية واسرائيل عن الاعتراف المتبادل رسميا فان من المؤكد أنه لن تظل الأمور مثلما كانت أبدا ولن نعود الى الوضع الذي كان سائدا قبل بدء المفاوضات السرية في النرويج. علينا ان نذكر انفسنا بما حدث وما لا يمكن تغييره.

أولا هناك اعتراف اسرائيلي بمنظمة التحرير. ومنذ عدة اشهر وانا اقول في اجتماعات ولقاءات عامة إن كل شيء يدل على أن اسرائيل ستعترف بالمنظمة قبل ان يعترف بها الأمريكيون. و كان يبدو ان مثل هذا الكلام أشبه بنكتة ولكنه أصبح الآن حقيقة واقعة. فالاسرائيليون يقولون منذ ان تاسست المنظمة أنهم لن يعترفوا بها لان الاعتراف سيكون «انتحارا» و«الانتحار ليس جزءا من التزامات اسرائيل الدولية». صحيح ان شمعون بيريز كان دائما اقل تشددا بالنسبة لهذه المسالة، إذ اعتاد القول ان الاسرائيليين لن يفتشوا في جيوب اولئك الذين يشتركون في المحادثات للتاكد من أنهم ليسوا من اعضاء المنظمة. لكن اسحق رابين هو الذي كان مسيطرا على زمام الامور وليس بيريز.

والحقيقة المذهلة الثانية هي ان الحكومة الاسرائيلية توصلت الى اتفاق مع مفاوضي المنظمة رغم معارضة أمريكا لما كان يجري وما كان مطروحا. اذ لم يكتف الامريكيون برفض فكرة الاعتراف بالمنظمة والحكم الذاتي لقطاع غزة واريحا حين اقترح الفلسطينيون ذلك في حزيران (يونيو) الماضي في واشنطن، بل ضحكوا حين قال الفلسطينيون لهم ان من المرجح جدا ان تقبل اسرائيل ذلك، وهزىء الامريكيون ايضا من فكرة احضار فلسطينيين من الخارج للمساعدة في المحافظة على الامن والنظام في الاراضي المحتلة. ومع هذا فقد قبل الاسرائيليون معقولية هذه الافكار. ورغم ان الأمريكيين بذلوا بعض المحاولات المتاخرة في يونيو ليقوموا بدور اكبر في مفاوضات واشنطن فانهم لم يفعلوا ما فيه الكفاية للتاثير في الاحداث. وهكذا اصبح دورهم في نهاية المطاف هامشيا. فبعد كل هذه السنوات من إعلان الكثيرين من امثالنا انه لا بد من ممارسة امريكا الضغط على اسرائيل للتوصل الى حل، جاءت الاحداث الاخيرة لتثبت اننا كنا جميعا مخطئين.

والحقيقة المذهلة الثالثة هي ان امكانية وجود قدس شرقية عربية بحكم ذاتي أصبحت الان فكرة مطروحة للنقاش الجاد في اسرائيل. اذ ان موشيه أميراف عضو منتخب في بلدية القدس ويراس حزبا جديدا اسمه «السلام للقدس» وهو يعتقد ان من المؤكد قيام دولة فلسطينية

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

مستقلة في المستقبل وبالتالي فان من المحتوم ان تصبح القدس عاصمة للدولتين. وهو لا يعتقد ان هذا يعني تقسيم المدينة. فهو يقول انه اذا كان في الوسع اقناع عرب القدس الشرقية الذين يشكلون 20 في المائة من الناخبين في المدينة بالتصويت في حزب «السلام للقدس» الجديد فان هذا الحزب سيصبح اكبر الاحزاب في المجلس البلدي لان الاحزاب اليهودية منقسمة على نفسها بين اليمين واليسار. وهو يعتقد حتى ان في وسعهم ان ينتخبوا فيصل الحسيني رئيسا للبلدية. وبالطبع فان وزراء الحكومة لا يذهبون الى هذا المدى. لكن يوسي بلين نائب وزير الخارجية الذي تفاوض مع المنظمة في النرويج قال هذا الاسبوع ان الجزء الغربي من القدس يمكن ان يصبح فعلا متمتعا بالحكم الذاتي. المهم في كل هذا الكلام هو ان الافكار التي كانت حتى فترة تعتبر مجرد احلام اصبحت موضع بحث ونقاش لدى الطرفين الآن.

وقد يبدو كل هذا افراطا شديدا في التفاؤل. فالتفاؤل يعتمد على الايمان بان الحكم الذاتي لغزة واريحا سيكون المرحلة الاولى على طريق اقامة الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس. وهو ما كان الهدف المعلن لجميع الدول العربية طوال السنوات العشر الماضية.

المسالة تعتمد على شيئين: ان تؤمن غالبية الفلسطينيين ان هذا الهدف يستحق التحقيق وان تؤمن غالبية الاسرائيليين انه هدف محتوم لا مفر منه. وهناك المزيد من الدلائل على ان الاسرائيليين بدأوا يؤمنون بذلك ومنهم رابين وبيريز وحتى ناتانياهو وشارون وشامير. وفي هذا ما يفسر سبب اعتراضهم الشديد على ما يجري.

ولا بد من الاعتراف ان هناك ايضا اسسا قوية تدعو الى التشاؤم. وهذه الاسس مزدوجة. اولا هناك مصاعب فنية وعملية. فهناك امكانية سقوط حكومة رابين عقب استقالة وزيرين من حزب شاس وبالتالي تشكيل حكومة من ليكود مما سيكون بمثابة كارثة. ثم هناك صعوبة إصرار الاسرائيليين على شروط من أجل تنفيذ اتفاق الحكم الذاتي وبشكل يستعصي على عرفات تلبيتها. من ذلك تغيير الميثاق الوطني الفلسطيني وإنهاء الانتفاضة. إذ ان التغيير لا يمكن لأحد ان يفعله سوى المجلس الوطني الفلسطيني الذي قد يستغرق اجتماعه أشهرا عدة. اما انهاء الانتفاضة فهو ليس في يد عرفات أو قدرته. فهو لم يأمر ببدئها ولا يستطيع الامر بانهائها.

الاساس الثاني الداعي الى التشاؤم هو ما اعرب عنه الفلسطينيون الذين اكن لهم احتراما كبيرا مثل ادوارد سعيد وشفيق الحوت. وملخص ما يقوله هؤلاء هو ان الفلسطينيين تنازلوا عن اكثر مما ينبغي دون التوصل الى اتفاق على موعد الانسحاب الاسرائيلي أو الاتفاق على استرجاع الفلسطينيين حقوقهم في الأرض والماء. وكما قال شفيق الحوت: «نحن الفلسطينيين يطلب منا الان ان نتخلى عن الشيء الوحيد الذي بقي لنا وهو الانتفاضة. مقابل لا شيء تقريبا».

والأسوأ من ذلك ان هؤلاء الناس ما زالوا يعتقدون ان اسرائيل تتآمر لاحضار الشرطة الفلسطينية لقمع الانتفاضة لاسيما في غزة.

والجواب الوحيد على هذه الاعتراضات هو السؤال: ما هو البديل؟ من المؤكد ان الانتفاضة حققت بعض الاهداف المهمة وجعلت الاسرائيليين يدركون انه ليس في وسعهم الاحتفاظ بالاراضي المحتلة الى الابد دون دفع ثمن باهظ. لكن الحديث الآن عن تصعيد الانتفاضة كلام غير واقعي ايضا. اذ ليس هناك الارادة أو السبل لفعل ذلك. وليس هناك امل بالطبع في «تصعيد الكفاح المسلح». اذ لا امل في الحصول على ما يكفي من الاسلحة أو القنابل لالحاق الهزيمة بالاسرائيليين.

ومن المؤكد انه ليس لدى الفلسطينيين سبب يدعوهم الى الثقة بالاسرائيليين. لكن الترتيبات من هذا النوع لا تقوم على اساس الثقة ولو في المرحلة الاولى على الاقل وإنما تقوم على المصالح المشتركة. وليس من الافراط في التفاؤل الاعتقاد ان غالبية الاسرائيليين خلصوا الى نتيجة مفادها ان الفلسطينيين لن يختفوا وانه ليس من مصلحة اسرائيل مواصلة محاولة قمعهم بالقوة. إن شارون يعتقد أنه يمكن فعل ذلك. لكنه فاشي واحمق ولم يعد يمثل اغلبية.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية